خصائص الإسلام

الإسلام دين الناس جميعاً

الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، دلال فور، جاركند

أخي القاري الكريم – وفقك الله – اعلم أن الإسلام ليس رسالة وشريعة نزلت لجماعة وطبقة خاصة، ولا نزلت لبلدة، أو مدينة خاصة ولا لجيل وعشيرة خاصة، ولا لمكان وزمان محدود، كما كانت الرسالات السماوية المتقدمة تكون لجماعة وبيئة خاصة، ولمنطقة خاصة، ولزمان ومكان محدود، بل نزلت لجميع البشر، ولكل زمان ومكان بدون تحديد زمان ومكان، وبدون تعيين جماعة، وطبقة، وجيل، وبيئة. وإلى ذلك أشار الرب تعالى بقوله: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [سورة الأعراف:١٥٨]

ترشد هذه الآية الكريمة إلى أن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله إلى الناس كافة، أبيضهم وأسودهم وأحمرهم وأصفرهم وعربهم وعجمهم، وإن هذا من شرفه وفضله ومنقبته أنه خاتم النبيين لا يأتي بعده نبي ورسول، وأنه مبعوث إلى الناس كافة.

والنبي محمد صلى الله عليه وسلم يمتاز عن غيره من الأنبياء والمرسلين الآخرين – عليهم الصلاة والسلام – بكثير من الخصائص والميزات، منها أنه بعث إلى الناس كافة، الأحمر والأسود، والأبيض والأصفر، والعرب والعجم، ونصر بالرعب مسيرة شهر، وأحلت له المغانم، ولم تحل لأحد قبله، وجعلت له الأرض مسجداً وطهوراً، وأعطيت له الشفاعة لأمته يوم القيامة لمن لا يشرك بالله شيئاً، يوم لا يقدر النبيون والمرسلون – عليهم الصلاة والسلام – على الشفاعة لأممهم عند ربهم شيئاً،

ويقولون لهم: إيتوا محمداً صلى الله عليه وسلم عبداً قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. كما ثبت في الصحيحين.

فرسالة النبي صلى الله عليه وسلم عامة لجميع البشر، خالدة مستمرة ماضية إلى قيام الساعة، وإن ملته البيضاء، وشريعته الغراء، وسنته الشهبآء ناسخة لجميع الملل والنحل من اليهودية والمسيحية وغيرهما، فلا يقبل الله تعالى ديناً غير دين محمد صلى الله عليه وسلم، وشريعة غير شريعته كما أشار إلى ذلك الرب تبارك وتعالى بقوله: {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}

فالواجب على أهل الكتاب من اليهود والنصارى الإيمان برسالة النبي صلى الله عليه وسلم، وبجميع ما جاء به من عند الله، واتباعه، وتصديقه فيما أخبر. وكذلك يجب على من لا كتاب له من أتباع الملل الأخرى الإيمان بما أرسل به النبي صلى الله عليه وسلم، واتباعه، وتصديقه بما جاء به من عند الله. فمن سمع بالنبي صلى الله عليه وسلم يهودياً كان أو نصرانياً ثم مات، ولم يؤمن برسالته ولم يتبعه ولم يصدقه كان من أصحاب النار، كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ''والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار''[١]. ولمن آمن من أهل الكتاب بنبيه قبل النسخ، ثم آمن بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم واتبعه فله أجران، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي بردة بن موسى عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ''ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين، رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه، وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم فآمن به واتبعه وصدقه فله أجران، وعبد مملوك أدى حق الله عليه وحق سيده فله أجران...الحديث.[٢]

وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة الكثيرة على عموم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى جميع البشر، وعلى كونها عالمية، منها ما يلي:

[١] ٨٦/١ باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس الخ.

[٢] ٨٦/١ باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس الخ.

عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ”أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض طيبة طهوراً ومسجداً، فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر، وأعطيت الشفاعة“.[1]

وفي ذلك كثير من الأحاديث النبوية الشريفة غير ما ذكر أعلاه.

فرسالة النبي صلى الله عليه وسلم ما كانت محلية أو زمانية، ولا كانت شريعته نزلت لجماعة أو لإقليم أو لجيل أو لطبقة وبيئة خاصة، كما كانت الرسالات المتقدمة قبله.

وإني أوجه كلمتي إلى أهل الكتاب من اليهود والمسيحيين المعاصرين بصفة خاصة، وإلى أتباع الملل والنحل الأخرى المعاصرة من غير الإسلام بصفة عامة، إني أدعوكم جميعاً إلى الإيمان برسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي ختمت به الرسالة، وبعث إلى كل أحمر وأسود وأبيض وأصفر، وبعث إلى الناس كافةً نذيراً وبشيراً وداعيا بإذن ربه، وشاهدا وسراجا منيرا، ليكون للعالمين نذيرا، أدعوكم إلى اتباعه وتصديقه، والتأسي بأفعاله وأقواله وأحواله، والاقتداء بهديه، فإنه لا فلاح، ولا نجاة لبشر العالم التاعس إلا في الإيمان برسالته وتصديقه واتباعه.

فإذا تبين لكم بوضوح وجلاء تام أن جميع الملل والنحل المتواجدة المعاصره منسوخة بملة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأن الشريعة المحمدية ماضية إلى قيام الساعة، صالحة لهداية جيمع الناس في كل زمان ومكان، وأن النجاة والفلاح والسعادة لا يحصل إلا بالإيمان برسالته، التي أرسل بها، واتباعه وتصديقه. فلماذا ترغبون عن ملته صلى الله عليه وسلم، الملة التي توصل إلى الخير، وتدعو إلى دار السلام، الملة التي تنقذ من الهلاك والدمار والويل والحرمان والشقاء والتعاسة، الملة التي تهدي إلى الصراط المستقيم والمنهاج السليم والسبيل القويم، الملة التي تخرج من

[1] رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

الظلمات إلى النور ومن الغي إلى الرشاد ومن عبادة العباد إلى عبادة الرحمن ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، الملة التي تدعو إلى الأمن والسلام والحب والوئام، وتحذر من الاختلاف والشقاق والافتراق والنزاع.

إنكم تحسبون أنكم تفوزون في الدنيا والآخرة، وتنجون من النار في الآخرة، كلا! إنكم لا تفلحون رغم كثرة خدماتكم العظيمة المتنوعة الباهرة لصالح العباد والبلاد من إنشاء المراكز التنصيرية، وإنشاء الثانويات والكليات والجوامع، وإنشاء المستشفيات والمصحات والمستوصفات، وإنشاء المؤسسات الخيرية والرفاهية والتربوية ونحو ذلك من خدمات وأعمال خيرية ورفاهية أخرى حتى تؤمنوا برسالة النبي محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، وتتبعوه وتصدقوه وتسلكوا منهاجه.

فالطريق المنجي والمنهاج المنقذ لبشرية العالم التائهة جمعاء إنما هو الإيمان برسالة النبي صلى الله عليه وسلم واتباعه وتصديقه والانقياد والاستسلام لأمره وحكمه والخضوع لشرعه لا غير.

وجملة القول إن رسالة الإسلام التي أرسل بها النبي صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة رسالة عامة إلى جميع البشر، رسالة عالمية خالدة مستمرة دائمة باقية إلى قيام الساعة، غير متغيرة وغير متحورة، رسالة صالحة لهداية البشرية التاعسة في جميع مجالات الحياة في كل زمان ومكان، وأن جميع الملل والنحل المنزلة منها وغير المنزلة، القديمة منها والحديثة، الوضعية منها وغير الوضعية منسوخة بملة النبي صلى الله عليه وسلم وشريعته البيضاء وسنته الشهباء، فمن آمن بما أرسل به النبي محمد صلى الله عليه وسلم واتبعه وصدقه فقد رشد وسعد، وأفلح وأنجح، ومن أعرض عن دينه وشريعته وتولى وكفر بما أنزل عليه فقد ضل وغوى وخاب وخسر.

❖❖❖